المساواة

(٥)

الاشتراكية العلمية

طالما كانت النظريات المجرّدة والمذاهب الفلسفية مستودعاً لمختلف الآراء يُستخرج منها ما لا يتفق مع مرماها الاساسيّ او ما يناقضهُ. ومن الادلة على ذلك ان الاشتراكية مقتبسة من مذهب « هجل » الفيلسوف الالماني. وما الفلسفة الاشتراكية او المادية الماركسية كما يسمونها احياناً، الاّ تحريف الفلسفة الهجلية تحريفاً قد يكون بديهياً، وقد يكون معنياً ليتلاءم وحجة ماركس الكبرى في نقته بفوز الاشتراكية التي اقامها على ما دعاهُ المادية التاريخية او الاساس المادي التاريخي (Matérialisme Historque). وهاك شرح هذه المادية التاريخية التي شاد عليها ماركس عقيدتهُ :

سبقهُ المصلحون فقالوا بتدرّج العالم ورقيهِ بالعوامل الفكرية والادبية والاخلاقية ؛ فنفى ماركس ذلك ليثبت ان كلّ تطوّر في السياسة والتشريع والاخلاق والفكر ناتج عن التكيف الآليّ والتحول الاقتصادي. اي انهم ارجعوا الرقيّ الماديّ الى اصل معنوي فقال هو بالعكس وجعل التغير الداخليّ وكل تغير سواهُ آتياً من التطور الآلي والاقتصادي. لان مبدع الاحوال ومحدث الانقلابات هو الاحتياج البشري — ذلك الاحتياج الذي يستنبط صنوف التصرّف ويستخدم وسائل القوة ليظفر بتنظيم الاجتماع على ما تقتضي بهِ ظروف الزمان والمكان، فيسعف نفسهُ بالراحة والتمتع والاستكفاء. فالفن والصناعة على انواعها من لوازم الحياة العمرانية وهما يفرضان بتقسيم العمل ، فينتج عن هذا تغاير الوظائف الموجد المراتب الاجتماعية. وتتطوّر النظم في التاريخ على هذا النمط فتسودُ كل مرتبة — خلقتها الوظيفة طبعاً — في اشد ادوار الاحتياج اليها. لذلك ساد رجال الدين وذوو الشرف الموروث يوم كان الدين كل شيء ، وكان الملك سليل آلهة تخاطب العباد من وراء ستار الهياكل وتنفذ الاوامر وتسنّ الشرائع على لسان الكهنة والعرّافين. وتسلّط رجال الحرب يوم كانت البلاد في خطر ازاء هجمات الغازي لا يردّهُ غير اليد المسلحة بالقوة والنار. وغلب اهل

الا اخذ عليهِ الميثاق ان لا يكتمهُ . وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا »

ولا بد للمعلم من ايّ نوعٍ كان من الانواع المذكورة قبل مباشرتهِ التعليم من مراجعة نفسهِ فيما يعرفهُ من موضوع تعليمهِ فتراهُ يجهد نفسهُ في المطالعة والمراجعة والتحبير والتحرير والانتقاد حتى يأتي بأحسن ما يمكنهُ الاتيان بهِ . وغير خافٍ انهُ وحالتهُ كذلك يكون قد اقتبس معلومات كثيرة وأثبت ما كان من قبيل الظن في عقلهِ . وبالحقيقة ان التعليم للمعلم الحقيقي من اقوى واوسع ابواب تحصيل العلوم

الخاتمة — العمل

لا اقصد بهِ التجربة للتبحُّر في ادراك الحقائق ولا التعليم على الصورة المشروحة اعلاهُ فان كل ما سبق معنا تمهيد واستعداد واذا لم يتوج بالعمل حسب كل علمٍ عقيماً فهما نما الغرس حتى صار دوحة باسقة وارفة الظلال وكان لا ثمر يجنى منهُ لا يجدينا ارتفاعهُ ولا ظلالهُ نفعاً يذكر . وياسف كلي تعترف ان مدارسنا تتجه باكثر مقاصدها الى الامور النظرية — الى تلقين العلوم — الى حشو العقل — وقلما تمرّن التلاميذ على العمل . « والعلم بلا عمل كالنحل بلا عسل »

وورد في الانجيل الشريف « ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموهُ » . قبل انصراف تلامذة مدرسة الفنون في صيداء بالاجازة الصيفية الماضية اجتمعت بالصف العالي وفيهم الغني والمتوسط والفقير وطلبت منهم دون استثناء ان يعدني كل واحد منهم بان يشتغل في الفرصة الصيفية في عملٍ ما ليحصل من عملهِ ولو ثمن كتبهِ للسنة التالية فوعدوا خيراً . وقد سمعت عن احدهم من والدتهِ انهُ لما انفتح امامهُ باب العمل وذاق لذتهُ زاد في تعهدهِ لنفسهِ انهُ يجب ان يحصل فوق ثمن كتبهِ قسماً من نفقاتهِ الخاصة تخفيفاً عن والديهِ فسرّني عملهُ اكثر مما سرّني علمهُ حال كونهِ من الاولين في صفهِ

صيداء — مدرسة الفنون نسيم الحلو